

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

فائدة - قال ابن درستويه في شرح الفصح - وقد ذكر لفظه (وَجَدَ) واختلاف معانيها - هذه اللفظة من أَقْوَى حَجَجٍ من يزعمُ أن من كلام العرب ما يتَّفقُ لفظه ويختلف معناها لأن سيبويه ذكره في أول كتابه وجعله من الأصول المتقدمة فطنَّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظٌ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة وإنما هذه المعاني كلُّها شيءٌ واحد وهو إصابةُ الشيء خيراً كان أو شراً ولكن فرقوا بين المصادر لأن المفعولات كانت مختلفة فجعل الفَرْقَ في المصادر بأنها أيضاً مفعولة والمصادرُ كثيرة التمايز جداً وأمثلةُها كثيرة مختلفة وقياسُها غامضٌ وعللها خفيةٌ والمفتشُّون عليها قليلون والصبرُ عليها معدوم فلذلك توهَّم أهلُ اللغة أنها تأتي على غير قياس لأنهم لم يضبطوا قياسها ولم يَقفوا على غَوِّها .

فائدة - قال ابن درستويه في شرح الفصح : لا يكون فعَلٌ وأفعَلٌ بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحالٌ أن يختلف اللفطان والمعنى واحد كما يظنُّ كثير من اللغويين والنحويين وإنما سمعوا العرب تتكلمُ بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عادتها وتعارفُها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق فظنُّوا أنهما بمعنى واحد وتأوَّلوا على العرب هذا التأويلَ من ذات أنفسهما فإن كانوا قد صدَّقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوزُ في الحكمة وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بيَّنا أو يكون على معنَين مختلفين أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه في كتابنا الذي ألَّفناه في افتراق معنى فعل وأفعَل .

ومن هاهنا يجبُ أن يتعرَّف ذلك وأن قول ثعلب : وَقَفَت الدَّابةُ ووقفتُ أنا ووقفت وقفاً للمساكين لا يجوزُ أن يكونَ الفعلُ اللازمُ من هذا النحو والمجاوز على لفظ واحد في النظر والقياس لما في ذلك من الإلباس وليس إدخالُ الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب وواضعُ اللغة - عزَّ وجلَّ - حكيمٌ عليمٌ وإنما اللغةُ موضوعَةٌ للإبانة عن المعاني فلو جاز وضعُ لفظ واحد للدلالة على معنَين مختلفين أو أحدهما ضدَّ للآخر لما كان ذلك إبانةً بل تَعَمُّيةً وتغصيةً ولكن قد يجيءُ الشيءُ النادرُ من هذا لعل كما يجيءُ فَعَلَ وأفعَلَ فيتوهَّمُ من لا يعرفُ العللَ أنهما لمعنيين مختلفين وإن اتفق اللفطان والسماعُ في ذلك صحيحٌ من العرب فالتأويلُ عليهم خطأٌ وإنما يجيءُ ذلك في لغتين متباينتين أو لحذف واختصار وقع في الكلام حتى أشبه اللفطان وخفي سببُ ذلك على السامع وتأوَّل فيه الخطأ

